محاضرات مقياس إفريقيا جنوب الصحراء
السنة الثالثة ليسانس تاريخ
المحاضرة رقم:01

المحور الأول : الموقع و السكان .

أولا : الموقع .

1 – أصل التسمية : تعددت الآراء و الإفتراضات حول أصل تسمية القارة الإفريقية بهذا الاسم ، فاسم إفريقيا لم يكن يطلق على القارة كلها من قبل بل كان يقتصر في البداية على منطقة منها و هي الشمالية ، أما بقية أجزائها فكانت لها أسماؤها مثل مصر و بلاد الزنج و الحبشة .

و نجد المصادر العربية تختلف حول أصل التسمية ، ففي معجم البلدان يذكر ياقوت الحموي أنّها نسبت إلى إفريقش بن أبرهة بن الرائش ، و قيل إفريقش بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، و ذكر أنّه لما غزا المغرب انتهى إلى موضع واسع رحيب كثير الماء ، فأمر أن تبنى مدينة هناك فبُنيت و سمّاها إفريقية و اشتق اسمها من اسمه ثمّ نقل الناس إليها ، و أضاف ياقوت الحموي أنّ إفريقية سُميت بفارق بن بيصر بن حام بن نوح ، و أنّ أخاه مصر لما حاز مصر لنفسه حاز فارق إفريقية و لما اختط المسلمون القيروان خربت إفريقية و بقي اسمها على الصقع جميعه ، و قال الحميري إنّ معنى إفريقية صاحبة السمـــــــاء ، و قيل إنّها سُميت بإفريق بن إبراهيم عليه السلام من زوجته قطورا ، و قيل إنّ أهل إفريقية من ولد فارق بن مصر .

و يرى حسن الوزان أنّ أصل تسمية إفريقيا من الفعل فرّق بمعنى فصل ، مضيفا أنّ هناك رأيان في أصل هذه التسمية ، يعتمد الأول على كون هذا الجزء من المعمور مفصولا عن أوربا و جزء من آسيا بالبحر المتوسط ، و يذهب الرأي الثاني إلى أنّ هذا الاسم مشتق من إفريقش ملك اليمن الذي كان أول من سكن هذه البلاد ، فلمّا لم يستطع الرجـــــــــوع إلى مملكته بعد أن غلبه الملوك الأشوريون و طردوه اجتاز النيل مسرعا ثمّ تابع سيره نحو الغرب و لم يقف حتى وصل ضواحي قرطاج ، لذلك نرى العرب لا يكادون يعتبرون إفريقيا سوى ضاحية من قرطاج

و عند غوتييه أنّ اسم إفريقيا لابدّ و أن يثير الإنتباه حيث أنّه كان في البداية يطلق على قرطاجة و مناطق نفوذها قبل أن يشمل القارة بأسرها ، ففي زمن الحروب البونية كان المؤرخون اللاتين يطلقون اسم أفري على المواطنين القرطاجيين ، و كان السكان الثائرون يسمون باسم قبائلهم منهم المور و البربر و ليس الأفارقة ، فالإفريقي هو المواطن القرطاجي ، و إفريقيا هو الاسم الرسمي للمقاطعة المحيطة بقرطاجة في عهد الرومان و هي مستقلة إداريا عن نوميديا و موريتانيا ، و يتجاهل غوتييه الحسن الوزان الذي نسب أصل التسمية إلى الفعل

فرّق قائلا إنّ العرب كانوا يطلقون على تونس التي نعرفها اليوم اسم إفريقيا و لهذا يربط المستشرقـــــون كلمة إفريقيا بأصل سامي أصبح بالعربية " الفرق" ، ثمّ ينقل عن مـــــــــؤرخ أوربي أنّ الكلمة الفنيقية التي تحولت باللاتينية لإفريقيا تعني القطيعة أو الجزء و هي المقاطعة التي تنفصل عن الوطن الأم ، أمّا آخر فيرى أنّ إفريقيا ليست لاتينية و إنّما أُخذت من اللغة البونية

أمّا المؤرخ الإيطالي إتوري روسي فيقول إنّ اسم إفريقيا لا يستبعد أن يكون منحدرا من الشعوب البربرية التي تعامل معها الرومان و اتصلوا بها ، و ربما كان أصله كلمة أوريغا (auriga) ، و قد حدّد الرومان بكلمة أفري (Afri) أو أفريكاني (Africani) جميع شعـــــــوب شمـــــــال إفريقيـــــا ، و على وجه الدقة المنطقة التي تطابق حاليا تونس ، و في القرون الوسطى و حتى القرن 16 م كانت كلمـــــــة إفريقيـــــــا تعني بلـــــــدة المهدية بتونس التي عُرفت حينذاك بكثرة مـــــــا تعرّضت له من هجمات و غزوات الجيوش المسيحية

و الخلاصة أنّ اسم إفريقيا لم يكن يطلق على القارة كلها ، فقد كان إطلاقه قاصرا أولا على منطقة منها في الشمال هي المعروفة الآن بتونس ، أمّا بقية أجزائها فقد كان لها تسمياتها المختلفة ، ثمّ عُمِّم اسم إفريقيا على القارة كلها و به تعرف الآن .

أمّا لفظ السودان هكذا على إطلاقه فقد استخدمه المؤرخون و الجغرافيون المسلمون ، فقد أطلقوا الكلمة على كل البلد الواقعة جنوب مصر و جميع المناطق التي يسكنها السود ، حيث نسبوا المنطقة إلى سكانها ، فقولنا بلاد السودان معناه الصحيح بلاد السود ، و من ثمّ فإنّ كلمة السودان المأخـــوذة من هذا اللفظ تدّل على جميع البقاع التي يقطنها السود من قارة إفريقيا.

و يذكر ابن عبد الحكم أنّ عبيد الله بن حبيب بن أبي عبيدة الفهري غزا السوس و بلاد السودان فظفر بهم ظفرا لم يُر مثله و أصاب ما شاء من ذهب ، و البكري ذكر بـــــــــــــلاد السودان و كثير من مدنها المشهورة و اتصال بعضها ببعض و المسافات بينها و ما فيها من الغرائب و سير أهلها، و عدّ مدينة سجلماسة مدخلا لها، و يقول ابن خلدون عند حديثه عن ملـــــــــوك بلاد الســـــودان المجـــــــــاورين للمغـــــرب أنّهم أصناف و شعوب و قبائل ، أشهرهم بالمشرق الزنج و الحبشة و النوبة.

كما تمّ استخدام مصطلح بلاد التكرور كمرادف لبلاد السودان و لاسيما من قبل المؤرخين المغاربة ، في حين جعلته المصنفات المشرقية خاصا بأحد طوائف السودان الساكنين في المنطقة الواقعة بين نهر النيجر و النيل المصري في المنطقة المعروفة بالسودان الأوسط.

و تسمى المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى في العصور المتأخرة باسم إفريقيا جنوب الصحراء و هي تسمية أُطلقت عليها من قبل

المؤرخـــــــــــــــــين الفرنسيين خاصة ، و تمّ التعامل معها و استخدامها تبعا لموقع المنطقة .

2 – الموقع : قبل تحديد موقع المنطقة المراد دراسة تاريخها و هي إفريقيا جنوب الصحراء ، يجب أولا تحديد موقع القارة الإفريقية ، و هي تقع في موقع وسط في الكرة الأرضية ، فيمر في وسطها خط الإستواء و في قسمها الشمالي مدار السرطان و في قسمها الجنوبي مدار الجدي ، و تبلغ مساحتها 30مليون كم^2 ، و يبلغ طولها من رأس عنابة في الشمال إلى رأس الرجاء الصالح في الجنوب ثمانية آلاف كم ، يحدّها من الشمال البحر الأبيض المتوسط و يفصلها عن أوربـــــــــا مضيق جبل طارق ، و تتصل بآسيا عبر شبه جزيرة سيناء و يفصلها عنها قناة السويس ، و يفصلها البحر الأحمر عن شبه الجزيرة العربية ، و تطل غربا على المحيط الأطلسي و شرقا على المحيط الهندي ، و تختلف عن غيرها من القارات بقلة جزرها ما خلا جزيرة مدغشقر و بعض الجزر الصغيرة

و أمّا حدود بلاد السودان فقد حدّدها القدماء من الجغرافيين المسلمين و منهم ابن حوقل بقوله : " و أمّا جنوبي الأرض من بلاد السودان فإنّ بلدهم الذي في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف ، ليس بينه و بين شيء من الممالك اتصال غير أنّ له حدّا ينتهي إلى البحر المحيط و حدّا له ينتهي إلى برّية بينه و بين أرض المغرب ، و حدّا له ينتهي إلى برّية بينه و بين أرض مصر على ظهر الواحات و حدّا له ينتهي إلى البرّية التي ذكرت أنّها لا تنبت و لا عمـــــــــــارة فيها لشدّة الحـــــــــرّ ، و القلقشندي بدوره ذكر حدود السودان واصفا إياها بأنّها بلاد متسعة الأرجاء رحبة الجوانب ، حدّها من الغرب البحر المحيط الغربي ، و من الجنوب الخراب ممّا يلي خط الإستواء ، و من الشرق بحر القُلزم ممّا يقابل بـــــــــــلاد اليمن ، و من الشمال البراري الممتدة فيما بين الديار المصرية و أرض برقة و بلاد البربر من جنوبي المغرب إلى البحر المحيط

و أما بلاد السودان أو إفريقيا جنوب الصحراء فيحدّها من الشرق البحر الأحمر و من الغرب المحيط الأطلسي و من الشمال الصحراء الكبرى و من الجنوب الغابات الإستوائية ، و بلاد السودان واسعة و كبيرة إلا أنّها قفرة في معظمها ، و ليس لها اتصال بشيء من الممالك و العمارات إلا من وجه المغرب لصعوبة المسالك ، و بقيت كذلك حتى القرن 5ه/11م حيث اكتشفت عدّة مسالك للوصول إليها من الشرق و من الشمال ، و لقد تعرّف المؤرخون و الجغرافيون المسلمون على إفريقيا جنوب الصحراء من خلال وصول التجار و المهاجرين المسلمين العرب إلى مدنها و كذلك من خلال ظهور الدول و الممالك الإسلامية في المنطقة ، لذلك نجد أنّ من تعرّض لها من الكتاب لم يترك تحديدا واضحا و دقيقا للمنطقة ككل ، بل اقتصر كلامهم على المناطق التي زاروها أو سمعوا عنها فقط

و تقسم بلاد السودان من الناحية العملية إلى ثلاثة أقسام و هي :

- القسم الأول : السودان الغربي و يشمل حوض نهر السينغال و نهر غامبيبا و المجرى الأعلى لنهر فولتا و الحوض الأوسط لنهر النيجر .
- القسم الثاني : السودان الأوسط و يشمل حوض بحيرة التشاد .
- السودان الشرقي : و يشمل الحوض الأعلى لنهر النيل .

و من الجدير بالذكر أنّ هذا التقسيم لم يكن معتمدا من قبل المؤرخين المسلمين ، إذ تعاملوا مع المنطقة كوحدة متكاملة تحت اسم بلاد السودان ، إلا أنّ ذلك لم يمنع من أنّهم تحدّثوا عن كل جزء منها بعد تقسيمها إلى أقاليم و أرباع.

و الخلاصة أنّ العرب هم أول من أطلق مصطلح بلاد السودان على الشعوب الساكنة جنوب الصحراء الكبرى ، و أنّ أصل التسمية مستمد من لون البشرة ، و عُرفت المنطقة في العصور المتأخرة باسم إفريقيا جنوب الصحراء و اقتصر اسم السودان على جزء من المنطقة و هو الجمهورية السودانية و عاصمتها الخرطوم ، و انفصل عن هذه الجمهورية جزء منها في جنوبها ذي أغلبية نصرانية بعد نزاع مسلح يعرف حاليا بجمهورية جنوب السودان و عاصمتها جوبا .

المحاضرة رقم:02

ثانيا : السكان .

يغلب على سكان إفريقيا العنصر البشري ذي البشرة السوداء أو الداكنة ، لذلك تعرف بالقارة السمراء ، و السلالات الإفريقية متنوعة و تختلف باختلاف و تنوع مناطق إفريقيا و أهمها ما يلي :

1 – الأقـــــــــزام : و يطلق عليهم أيضا الزنوج الصغار و البيغمي (Pygmy) ، و هم من أقدم الشعـــــــــوب التي استقرت في الغابات الإستوائية ، و هـــــــــم مجموعة من القبائـل المتجانسة في شكلها و صفاتها العامة و في أسلوب حياتهـــــــــا ، و هناك من الأدلة الكثير على قدم الأقزام في إفريقيا ، فقد ورد ذكرهم في نص يرجع إلى حكم أحد ملـــــــــوك الأسرة الفرعونية الخامسة (2560 – 2420 ق.م) و الذي أُحضر إليه قزم من نوع نادر

و كلمة الأقزام مشتقة من الكلمة اليونانية (Pygmaioi) و معناها الرجل الذي لا يزيد طوله على ما بين كوع الشخص العادي و أصابع قدميه ، و تنحصر أوطان الأقزام الإفريقيون الحالية في مواضع متفرقة من نهر الكونغو و تمتد حتى حدود أوغندا ، و من جهة الشمال الشرقي حتى حوض بحر الغزال (نهر الغزال هو الرافد الرئيسي للنيل من الجهة الغربية) و غربا حتى حدود جمهوريات الكونغو و الكامرون و الغابون و أنغـــــــــولا فيما بين خطي 4^0 شمـــــــــالا و 5^0 جنوبـــــــــا ، و ينقسم الأقزام إلى جماعات صغيرة مبعثرة يعيشون على الصيد و القطاف و يجهلون الزراعة و تربية الماشية و عمل النسيج و الفخاريات

2 – سلالة الكوازان (Khoisan) : تعيش حاليا في الطرف الجنوبي زمرتان من الجنس البشري في طريقهما للإنقراض ، و هما البوشمان أو رجـــــــــال